"نسبية الاتصال البصري"

"Relativity of Visual Communication"

بقلم: أرتو موتانين

ترجمة الدكتور: محمود محمد قوايلي/ أشري م.حميدة جامعة مينيا - مصر

Mahmoud M. Gewaily, PhD Egypt
Ashri M. Hemida, Demonstrator, Egypt

الملخص

يهدف البحث إلى تعريف الأبعاد الثلاثة لعملية الاتصال من المرسل للرسالة للمتلقي لها من خلال قنوات التواصل اللفظية والغير لفظية؛و تقديم للورقة لتحقيق الهدف المنشود من عملية الإتصال لتوطين اهمية الاتصال البصري في العالم العربي ؛و توضيح مدى تاثير اهميه كتاب فنجشتاين *Tractatus* على نيوراث وما صاحب ذلك من تعديل على النظرية. ونامل أن يتفاعل القاري العربي مع التعديل المطروح من نيوراث- لتأييده أو نقده -بطرح رؤى جديدة؛وخاصة ان المفكر برتلاند راسل صرح في مقدمته انهمن الضروري على القارئ أن يتوفر لديهحضور ذهني وجسوربحثية ممتدة مع فنجشتاين حتى يتمكن من سبرغوركتابه وما يعتريه من ترميز

الكلمات المحورية:الإتصال البصري، الفلسفة،السيميائية، علم الدلالات ، الترميز

Abstract:

Visual communication was a rich field of study to many philosophers. Their interest was directed at how pictures can convey meanings and information; and how a receiver can appropriately interpret message involved in those pictures. This paper is a translation of ArtoMutanen's paper "Relativity of Visual Communication" (2016) as an example of how he developed Wittgenstein's theoretical ideas. This necessitates to render his scholarship into Arabic as a sound ground to boost the academic interests of Arabs to bridge the gap of the current limited research in Arabic.

Keywords: Arabic, communication, pictorial language, relativity, understanding.

I

ساقني الإهتمام بموضوع الإتصال البصري إلى البحث عن المزيد من الأبحاث التي تخص هذا المجال ولدهشتي وجدت أن اللغة العربية تفتقر الى ما تعج به اللغة الإنجليزية من أعمال، لذا عكفت على نقله للعربية لعله يعود بالنفع على الباحثين العرب من يبحث عن ضالته المنشودة في هذا المجال الخصب الذي ينبئ بثورة معرفية في التواصل عن طريق اللغة وروافدها العديدة في القرن الحادي والعشرون. وأهمية ترجمة بحث ارتو موتانين ArtoMutanen بعنوان " Relativity of Visual Communication" يرجع إلى عدة أسباب: أولاً أن هذا البحث حديث النشر إذ صدر في الرابع من يناير لعام 2016؛ ثانياً نشر هذ البحث بمجلة كوأكتيقيتي وهي مجلة محكمة علمياً تهتم بالأبحاث الفلسفية والأبحاث المتعلقة بقنوات الإتصال؛ ثالثاً والأهم أنه يضم بين دفتيه أربعة فروع علمية متداخلة وهي تتضمن الفلسفة من خلال التطرق إلى المدرسة الوضعية المنطقية وأثرها على نظرية الصورة لفيتجنشتاين؛ و نظرية الإتصال وإستخدامه في مشاركة ونقل المعلومات؛ و نظرية السيميائية من خلال تشارلز ساندرس بيرس للعلامات التي تشمل الدوال والأيقونات والرموز؛ وكذلك علم الدلالات من خلال الحديث عن طرق عرض المعلومات الخاصة باللغات ودلالات الرموز والصور. كما تطرق الباحث إلى الحديث عن فن الرسم من خلال برنارد وليام هولتروب والرسام الشهير بابلو بيكاسو. ونامل أن يتفاعل القاري العربي مع التعديل المطروح من نيوراث- لتأييده أو نقده -بطرح رؤى جديدة؛ وخاصة ان المفكر برتلاند راسل صرح في مقدمته انهمن الضروري على القارئ أن يتوفر لديهحضور ذهني وجسوربحثية ممتدة مع فنجشتاين حتى يتمكن من سبرغوركتابه وما يعتريه من ترميز.وفيما يلي إيجاز لأهم الأوراق التي ظهرت بالإنجليزية والعربية على مدار الثلاث سنوات التالية لنشرعمل اورتوالحالي.

II

Visual communication is one of the most important ways of conveyingand sharing information by means of symbols and imagery. It is characterized by simplicity and quickness in transmission of ideas than written materials. Man's daily activities often involve visual components which are either fully meaningful by their own, for example, traffic lights which give directions to vehicles, or they can support meanings of spoken words along with gestures and body language. In both cases, visual components are used as tools to reinforce meanings we intend to share with others.

Visual communication is a basis for contact processes in our today's fast-paced world simply described as "information age", therefore, it is a fertile field for conducting researches. In advanced societies, where most activities are connected somehow to electronic media, such as the Internet, there developed an urgent need to get knowledge from simple expressive images in order to save time. Researches based on visual communication touched many areas of science; and especially in fields where contact depends chiefly on visual aids such as drawings, graphics, animated pictures, and so on.

One of the most eminent philosophers who studied visual communication was Ludwig Wittgenstein, who developed Picture Theory in his book "TractatusLogico-Philosophicus", first published in 1922. *TractatusLogico-Philosophicus* was a guide to later logical positivists who developed its ideas.

In "A Review of the Evolution of Animal Colour Vision and Visual Communication Signals"[(1)] conducted by D. Osorio M. Vorobyev, 2008, it is clear how animals and plants' visual colorful displays allow them to respond to these signals as they forage for food, choose mates and so-forth. The paper mainly discusses the evolutionaryrelationship between photoreceptor spectral sensitivities of four groups of land animals: birds, butterflies,primates and hymenopteran insects (bees and wasps)—, the colour signals that are relevant to them,and how understanding is informed by models of spectral coding and colour vision.

In "Occupational Safety and Visual Communication: User-Centred Design ofSafety Training Material for Migrant Farmworkers in Italy"[(2)] prepared by Lucia Vigoroso and others, 2018, the main aim was to develop visual safety training material based on migrant farmworkers' needs to increase their satisfaction in the training process. The study focused mainly on the use of visual material to attain the assumed objectives in order to overcome language barriers and to effectively convey useful information to migrant farmworkers. Migrant farmworkers

who might benefit from training relied on information provided by means of visual communication due to their often scarce knowledge of the local language.

In their study, "Exploring Visual Communication and Competencies through Interaction with Images in Social Media"[3], Matilda Stahl, and Hannah Kaihovirta, 2019, examine the relationship between visual communication and secondary schools students' active competencies when interacting with longer-lasting images in social media. On the basisof visual ethnography and different levels of messages in visual material, the analysis of data used shows that the focus student interacts with images in a way that communicates the kind of persona the focus student wishes to convey in social media. The findings indicate that four competencies are active while interacting with images in social media: visual competency; technical competency; knowledge of social norms; and knowledge of self.

KaymarRaoufi and others'"Visual Communication Methods and Tools for Sustainability Performance Assessment: Linking Academic and Industry Perspectives"[4], 2019, investigates emerging and ongoing effortsdone by non-experts, including students and marketing/finance professionals, to formulate effective decisions based on quantitative analysis of data and information. The problem stems from the lack of robust and clear visualization frameworks which represent a barrier in advancing the efficacy of sustainability analyses, the tools used for such analyses, and the decisions based on them, exacerbated by the gap between research and industry practice. The analysis uncovers best practices for presenting actionable sustainability analysis results that could provide a starting point.

III

الاتصال البصري:

الاتصال البصري هو التواصل من خلال وسيلة بصرية مساعدة[5]،أو نقل الأفكار والمعلومات في شكل مقروء أو مرئي.وهناك أدلة تشير إلى أنه أقدم أشكال الاتصال،فعلى سبيل المثال،توجد رسوم بداخل كهوف في العديد من المناطق حول العالم ترجع لآلاف السنين، وقد يرجع بعضها لأربعين ألف سنة. تعد تلك الرسوم شكل بدائي للاتصال رسمت أو نحتت على جدران وأسقف الكهوف.وعلى الرغم

من عدم وضوح الغرض منها، تحتوي هذه الرسوم على تصويرات - بالإضافة لأشياء أخرى – لحيوانات، ومناظر طبيعية، وأماكن مقدسة،وهي بمثابة توثيق لفترة ما قبل التاريخ[6].يعتمد الاتصال البصري بصورة جزئية على الرؤية، ويعرض أو يعبر عنه في الأساس عن طريق الصور ثنائية الأبعاد، ويشتمل على العلامات، وأساليب الطباعة، والرسوم، والتصميم الجرافيكي، والتصميم الصناعي، والإعلانات، والرسوم المتحركة، والمصادر الإلكترونية. كما يبحث الاتصال البصري في المقدرة الكبيرة للرسالة البصرية المصاحبة للنصوصعلىالتزويدبالمعلومات والتعليم وإقناع شخص أو جمهور.

الوسائل البصرية المساعدة

يتم الاتصال البصري من خلال الوسائل البصرية المساعدة؛كما يرتكز تقييم الاتصال البصري الجيد بشكل أساسي على قياس فهم الجمهور[7] وليس النواحي الجمالية الشخصية، أو التفضيل الفني؛ إذ لا توجد مبادئ عامة متفق عليها للجمال والقبح. وبعيدًا عن الصور ثنائية الأبعاد، هناك طرق أخرى للتعبير عن المعلومات في صورة بصرية: مثل الإيماءات، ولغة الجسد، والرسوم المتحركة (الرقمية أو التناظرية)، والأفلام.

عادة ما تستخدم الوسائل البصرية المساعدة لمساعدة الجماهير المتلقين للخطابات الإعلامية والإقناعية لفهم الموضوع الجاري عرضه. ويمكن للوسائل المساعدة البصرية أن تلعب دورًا كبيرًا في الكيفية التي يفهم بها الجمهور، وكيفية تلقيهم للمعلومات المعروضة. هناك أنواع متعددة للوسائل البصرية المساعدة، والتي تتراوح بين الوثائق الإعلامية المطبوعة والعروض التقديمية. ويعتمد استخدام المتحدث لنوع الوسيلة البصرية المساعدة على اختياره الشخصي، وعلى المعلومات التي يحاول عرضها. ولكل نوع من الوسائل البصرية المساعدة إيجابياته وسلبياته الواجب تقييمها لضمان نفعيتها للعرض ككل؛ قبل إدماجها الوسائل البصرية المساعدة في الخطابات، على المتحدث إدراك أن إستخدامه الوسائل البصرية بشكل خاطئ يجعل منها وسيلة تشتيت وليس وسيلة مساعدة. وللتخطيط المسبق

أهمية عند إستخدام الوسائل المساعدة البصرية؛فمن الضروري اختيار وسيلة تناسب المادة المعروضة والجمهور المتلقي لها، فالغرض من الوسائل المساعدة البصرية هو تحسين جودة العرض التقديمي[8].

العرض البصري

يستخدم مصطلح العرض البصري[9] للإشارة للعرض الفعلي للمعلومات من خلال وسط مرئي كالنصوص أو الصور. ركزت الأبحاث الإخيرة في المجال على تصميم الويب وقابلية الإستخدام القائمة على شكل رسومي. يستخدم أيضاً مصممو الجرافيك أساليب الاتصال البصري في ممارساتهم المهنية. قد يكون الاتصال البصري أهم أشكال الاتصال على الشبكة العنكبوتية، ويجري عند تصفح المستخدمين لشبكة الإنترنت. يستخدم الفرد عند التعامل مع الويب العين كحاسة أساسية، ومن هنا يصبح العرض البصري لمواقع الويب ذا أهمية كبيرة من أجل فهم المستخدمين للرسالة أو الاتصال الحادث. عادة ما يشار إلى "عين حورس" كرمز للاتصال البصري. يقال أنها ترمز إلى كسوف الشمس؛ إذ تشبه الهالة التي تحيط ببؤبؤ العين تلك التي تحيط بالشمس أثناء ظاهرة الكسوف.

السيميائية

يطلق على دراسة الرموز والاتصالات البصرية في الإطار الأكاديمي **علم الإشارات** (السيميائية). وبمفهوم أوسع، يهدف علم الإشارات إلى تحليل كيفية تشكيل الناس للمعنى من الرموز وكيفيةتفسيرهملهذه الرموز. قد يكون أبسط مثال على ذلك هو تمثيل أشياء مادية في صورة رسوم تخطيطية من أجل مشاركة الأفكار أو توجيه الأسئلة.على سبيل المثال، إذا أراد أحد الأشخص شراء شجرة من بائع لا يفهم لغته، فقد يستخدم رسم تخطيطي يشير للمال والشجرة لايضاح رغبته.نجحت هذه الطريقة على مر الأزمنة،إذ تطورت خصائص معينةقام الناس بربطها بأشياء مختلفة؛فالشجرة

مكونة من جذع وفروع وأشكال مختلفة للأوراق، وهذه العلامات معروفة على نطاق عالمي إذ يتشارك الناس خصائص ومعانيالرموز - على مستوى مبسط - حول العالم.

مثال الشجرة بسيط إلى حد ما، ولكن قد يصبح علم الإشارات أكثر تعقيدًا بشكل فعلي. على سبيل المثال، تعتمد الأنماط العنصرية بشكل كبير على علم الإشارات كي تصبح ذات معنى. فلننظر إلى صور الهنود الحمر التقليدية التي استخدمت كثيرًا في الإعلانات. نتذكر هذه الصورة بسبب **علم المعاني**، والذي يشير إلى العلاقة بين الرمز ومعناه الإجتماعي أو الثقافي. في هذه الحالة قد ترى بشرة أكثر قتامة، وربما غطاء للرأس، أو طلاء للحرب، أو بعض الأزياء البسيطة، والتي تعلمناربطها بالهنود الحمر.

يتعلم دارسي الاتصال البصري الفيزياء الأساسية للضوء، والتشريح، وفسيولوجية العين، والنظريات المعرفية والإدراكية، ونظريات الألوان، وسيكولوجية الجشطالت، وعلم الجمال، وأنماط القراءة الطبيعية، ومبادئ التصميم، والسيميائية، والإقناع، وأنواع الصور، وهلم جرا[10]. تختلف مدارس الاتصال البصري من حيث المنهج ولكن معظمها يجمع بين النظرية والتطبيق بشكل أو بآخر.

أسس الاتصال البصري في الفلسفةوتطبيقاته في البحث العلمي:

يعد الاتصال البصري من المجالات الخصبة لإجراء الأبحاث، إذ يعد أساسًا لعمليات التواصل في عصر السرعة الذي نعيشه، وقد ظهرت حاجه ملحة لاختصار الرسائل في صور بسيطة تتميز بعمق التعبير والجاذبية للمتلقي في آن واحد توفيرًا للوقت. أجريت دراسات مكثفة حول الاتصال البصري وتطبيقاته في النواحي المختلفة للحياة المعاصرة، والتي يقوم فيها التواصل على وسائل بصرية منهاالرسوم، والتصميم الجرافيكي،والإعلانات، والرسوم المتحركة، والمصادر الإلكترونية؛ وكان النصيب الأكبر من تلك الأبحاث باللغات الأجنبية للدول ذات التطور التكنولوجي؛ والتي تحاول دومًا تحقيق أكبر

استفاده من الوقت من خلال الاعتماد الرئيسي على شبكة الانترنت في كافة التعاملات اليومية، بينما يوجد عدد ضئيل من الأبحاث العربية في هذا المجال.

اهتم عدد من الفلاسفة بدراسة عمليات الاتصال البصري،وانصب اهتمامهم على كيفية نقل المعلومات من خلال الصور،وكيف يمكن للمستقبل فهم الرسالة التي تتضمنها تلك الصورة بشكل تام.كان من أبرز تلك الدراسات نظرية الصورةالتي طورها (لودفيغ فيتجنشتاين)في كتابه(تراكتاتوس لوجيكو- فيلوسوفيكوس)، وقام بعض فلاسفة المدرسة الوضعية المنطقيةبتطوير أفكاره التي وردت في (تراكتاتوس)، وعلى رأسهم(أوتو نيوراث)رئيس المؤسسة الدولية للتعليم البصري، والتي سعتلتطوير لغة تصويرية دولية،وأطلق عليها إيسوتيب، وتعني (النظام الدولي لتعليم الصور المطبعية) (نيوراث 1936: 7). وبذلك قامت اللغة التصويرية علىأسس نظرية، وأسس عملية تشير إلى الرغبة في العمل والعلم (نيوراث 1936: 13) وإلى العدد المتزايد من الرسائل التصويرية التي يتلقاهاالإنسانبشكل يومي.

يعد ألدوس هكسلي واحدًا من أبرز مستكشفي الاتصال البصري والنظريات المتعلقة بالإبصار[11]. مهدت إصابته بالعمى الجزئي في سن المراهقة الطريق لما قد يجعله واحدًا من أعظم المفكرين الذين طالعوا الاتصال البصري. وتضم أعماله روايات هامة حول الجوانب اللاإنسانية للتقدم العلمي، وكان أشهرها "برايف نيو وورلد" و "ذي آرت آف سيينج". وقد وصف "الرؤية" أنها مجمل الإحساس والإختيار والإدراك. وكانت واحدة من أشهر مقولاته "تزداد معرفتك كلما زادت رؤيتك للأشياء".

يعد ماكس ورثيمر جنبًا إلى جنب مع كورت كوفكا، و وولفجانج كولرمؤسس (ويقال أنه أب) علم نفس الجشطالت [12]. باختصار، نظرية الجشطالت (الكلمة الألمانية للصيغة أو الشكل) هي دراسة العمليات الكاملة وتفاعلاتها التي نلاقيها (همفري ، 1924)، وتنبع من العمل التجريبي الذي - خلال أكثر من تسعة عقود منذ بدايته - أثبت نفعيته في تقديم الفرضيات. وتؤكد دراسة علم نفس الجشطالت على البساطة في الشكل واللون والتقارب، وتبحث عن مبادئ الاستمرارية،والإنغلاق،والشكل، والأرضية.

وفيما يلي مطالعة لبعض الدراسات العربية التي أجريت في مجال الاتصال البصري، ونذكر منها: "التواصل البصري ودوره في التدريس الفعال"[13] لدكتور مهدي محمد عبدالله ابراهيم، والتي تناولت الاتصال البصري كأحد أهم مهارات التدريس الفعالة التي لها علاقة مباشرة في ادارة الفصل الدراسي بغض النظر عن نوع التخصص والمرحلة العلمية. كانت أهم محاور الدراسة تعريف الاتصال، ومكونات عملية الاتصال، وأهمية تفعيل الاتصال البصري لدى المعلمين وكذلك الطلاب. كما تطرق أيضًا إلى الأخطاء الشائعة في استخدام التواصل البصري في العملية التدريسية.

من أبرز الدراسات التي تناولت الاتصال البصري "الدلالة الفكرية للرمز المبتكر بمفهوم النظرية السيميائية وفي ضوء نظرية الاتصال البصري"[14] لدكتوره وسيمة بنت محمد العشيوي. انصب اهتمام البحث على الرمز كقيمة ابتكارية فكرية تحتل مكانة مهمة في فنون الاتصال البصري، حيث يلجأ كثير من الفانين للرمز لتوصيل المعاني والأفكار، وذلك من خلال ايضاح دلالات الرموز في الاتصال البصري باعتبارها قيمة ابتكارية، مشتملة على الأبعاد الثلاثة لعملية الاتصال، وهي: المصمم، والعمل الفني "الرمز"، والفئة المستهدفة. كما يتناول البحث الرمزية في الفن التشكيلي، والاتصال البصري ورمزيته، ومحاور عملية الاتصال البصري.

من الأبحاث حديثة النشر في مجال الاتصال البصري "دور الغلاف وأهميته في تفعيل اتصال بصري بين المؤسسة وزبائنها"[15] لدكتور دراج عفيفة. يدور إهتمام البحث على ثلاثة محاور أساسية: ماهية الاتصال البصري بصفة عامة، واستخداماته ومجالات تطبيقه في المؤسسة الاقتصادية؛ وأهمية الغلاف في عملية التسويق؛ وأخيرًا، استخلاص العلاقة بين الغلاف وكل مكون من مكوناته في انشاء علاقة اتصال بصري تنقل من خلالها المؤسسات معلومات هامة لزبائنها بمجرد النظر للغلاف. كما

يتطرق البحث للحديث عن أقسام الاتصال البصري، وتقنيات التصميم الصناعي للغلاف التي من شأنها استقطاب أكبر عدد ممكن من الزبائن.

من الدراسات الحديثة أيضًا حول تطبيقات التواصل البصري في عملية التدريس "برنامج مقترح للتعبير الفني في ضوء استراتيجية العروض التعليمية لتنمية مهارات الاتصال البصري لدى تلاميذ المرحلة الاعدادية"[16] لدكتور مجدي العدوي وآخرين. وتتحدد مشكلة البحث في التساؤل حول أثر استخدام استراتيجية العروض التعليمية لتنمية مهارات الاتصال البصري. وتتلخص أهم أهداف البحث في تصميم برنامج في التعبير الفني لتنمية مهارات الاتصال البصري لدى تلاميذ المرحلة الاعدادية، والكشف عن آثار تطبيق ذلك البرنامج على التلاميذ، وكذلك تصميم مقياس لقياس مهارات التواصل البصري لدى التلاميذ.

وانطلاقًا من مطالعة الأبحاث سالفة الذكر، أتت الضرورة لترجمة البحث الأجنبي – من وجهة نظر الباحث - لعدة أسباب: فإلى جانب مقدمة البحث المستفيضة حول تعريف الاتصال البصري، والشروط التي يجب توافرها لنجاح عملية التواصل، ينظر البحث في الأسس النظرية لعملية الاتصال البصري في الفلسفة من خلال دراسة نظرية الصورة لـ (فتنجشتاين) وأثرها على الفلاسفة الوضعيين من بعده، وأشهرهم (أوتو نيوراث). كما يستعرض البحث في جزئياته المتعددة أساليب ونظريات تفسير الصور والمعلومات المصورة والتي كان من أهمها "نظرية النموذج". ينظر البحث أيضًا في اختلافات اللغات الطبيعية عن اللغات البصرية من خلال نظرية تشارلز ساندرس بيرس للعلامات والتي تربط بين اللغات البصرية والطبيعية. لذلك أراد الباحث تقديم إضافة جديدة باللغة العربية كي يستفيد منها الباحثون في هذا المجال.